

## مهارات تدبر القرآن الكريم

عادل رشاد غنيم

قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك فيصل  
الأحساء، المملكة العربية السعودية

### الملخص

إن التأثر بالقرآن الكريم وهديه، والانطلاق منه إلى آفاق التغيير الهادف يتطلب فهما عميقا لآياته، ووعيا شموليا لمعانيه، ومن هنا كانت دعوة القرآن الكريم في مواضع عدة إلى تدبر آياته؛ وذلك لما في التدبر من تمكين القارئ من استكشاف المزيد من معانيه، بقدر ما يملك من رغبة صادقة في الفهم، ومن مهارات مساعدة على اتساع آفاق الرؤية لدلالات القرآن الكريم، وإبراز العلاقات الوثيقة بين النص القرآني، وبين واقع الحياة التي أنزلت آياته، تقويها لمسارها.

تناولت هذه الدراسة أهم مهارات التدبر، سواء في مجالها القرائي، أو الدلالي، أو التأملي، فعرضت في المجال القرائي مهارات الترتيل، والترديد، والتغيم، وفي المجال الدلالي مهارات استكشاف المعنى المعجمي والتمثيلي والسياقي، أما في المجال التأملي فتناولت مهارات استنباط الفوائد، واستخلاص المناسبة، وتنزيل الآيات على الواقع، وطرحت الدراسة بعض الأمثلة التفسيرية لتوضيح تلك المهارات.

**الكلمات المفتاحية:** تدبر القرآن الكريم، المجال الدلالي، مهارات الترتيل.

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن

محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي عليه وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فقد قال الله تعالى: ﴿كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة ص: 29)،

وبين سبحانه أن من غايات إنزال القرآن تدبر آياته. وهذا يجلي أهمية التدبر، وضرورة

تعلم مهاراته؛ ليكون المرء ماهرا بكتاب الله تعالى، ويحظى ببشارة النبي ﷺ: "المَاهِرُ

بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ

## أَجْرَانِ" (1).

تهدف هذه الدراسة إلى بيان المهارات التي تعين القارئ على تدبر القرآن الكريم ليحظى ببركة القرآن الكريم وهدايته في جوانب حياته كافة. وهناك عدد من الدراسات التي تناولت موضوع التدبر، وعنيت ببيان فضله وقواعده؛ لكنها لم تبرز - بشكل كاف - الجانب المهاري الذي يمكن القاري من الممارسة العملية للتدبر في مراحلها المتتابعة، وهذا الجانب هو ما اتجهت إليه همة البحث. من تلك الدراسات ما كتبه الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني في مؤلفه (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل) والشيخ سلمان بن عمر السنيدي في مؤلفه (تدبر القرآن)، ود. هاشم بن علي الأهدل في مؤلفه (تعليم تدبر القرآن الكريم، أساليب عملية ومراحل منهجية). وقد سار البحث على المنهج الوصفي التحليلي لعملية التدبر ومهاراتها، واشتملت خطة الدراسة بعد المقدمة على تمهيد لبيان مفهوم التدبر وأهميته، ثم استعراض مهارات التدبر في مباحث ثلاثة بدأت بالمهارات القرائية التي توفر الظروف الذهنية المواتية للتدبر، ثم المهارات الدلالية التي تكشف المعنى الأولية للآيات، وأخيرا المهارات التأملية التي يستخلص منها لطائف المعاني بحسب الطاقة، ويشتمل كل مبحث على ثلاثة مطالب:

**المبحث الأول: المهارات القرائية**

- المطلب الأول: الترتيل.
- المطلب الثاني: التريد.
- المطلب الثالث: التنغيم.

**المبحث الثاني: المهارات الدلالية**

- المطلب الأول: بيان المعنى المعجمي.
- المطلب الثاني: بيان المعنى السياقي.
- المطلب الثالث: بيان المعنى التمثيلي.

(1) صحيح مسلم، عن عائشة رضي الله عنها، 219/4.

### المبحث الثالث: المهارات التأملية

- المطلب الأول: استنباط الفوائد.

- المطلب الثاني: استخلاص المناسبة.

- المطلب الثالث: تنزيل الآيات على الواقع.

ثم خاتمة وقائمة بالمراجع، وهي تفرعات اجتهادية من الباحث بقصد تيسير العرض ووضوح الفهم. أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به كل من أراد أن يتدبر كتابه، وينتفع بآياته.

### التمهيد

#### تعريف مهارات تدبر القرآن الكريم:

المهارة في اللغة: الحدق في الشيء ومهَرَّ الرجلُ مهارةً، إذا أحكَمَ الشيء، أي صار حاذقاً، والمهارات نعني بها في هذه الدراسة العمليات العقلية التي يؤديها الشخص بدقة وكفاءة لاستخلاص ما يستفاد من النص المقروء أو المسموع<sup>(1)</sup>. أما التدبر فدلالته اللغوية تعني النظر إلى عواقب الأمر، كما في (لسان العرب): "دابِرُ الشيءٍ آخره ودَبَّرَ الأمرَ وتَدَبَّرَه نظر في عاقبته واستَدَبَّرَه رأى في عاقبته ما لم ير في صدره وعَرَفَ الأمرَ تَدَبُّراً أي بأخْرَةٍ. والتَّدْبِيرُ في الأمر أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، والتَّدْبِيرُ التفكر فيه"<sup>(2)</sup>، فالتدبر مشتق من النظر في أدبار الأمور وهي أواخرها وعواقبها، ومنه تدبّر القول<sup>(3)</sup>، كما في قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ (سورة المؤمنون: 68). وقيل: التَّدْبُرُ يعني التَّفَكُّرُ أي تَحْصِيلُ الْمَعْرِفَتَيْنِ لِتَحْصِيلِ مَعْرِفَةٍ ثَالِثَةٍ<sup>(4)</sup>، لكنه وإن كان قريباً من التفكر، إلا أن التفكر هو تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في

(1) انظر: الصحاح للجوهري، 3/ 385.

(2) لسان العرب، لابن منظور، 4/ 268.

(3) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، 216.

(4) تاج العروس للزبيدي، 1/ 2813.

العواقب<sup>(1)</sup>. والتأمل تدقيق النظر في الأمور بغرض الاتعاظ والتذكر أي: مراعاة إدامة الفكر واستمراريته؛ ومن ثم لا تكون النظرة الواحدة تأملاً ولا يكون التأمل إلا في طول مدة، فكل تأمل نظر وليس كل نظر تأملاً<sup>(2)</sup>.

من هنا نص الميداني على أن التدبر هو "التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومرامييه البعيدة"<sup>(3)</sup>. نخلص من ذلك إلى صياغة مفهوم التدبر على أنه (عملية فكرية لفهم معاني الآيات بغية الاستجابة العملية لمقتضياتها في الواقع بقدر الطاقة البشرية). والقرآن الكريم في تعريف الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية هو "الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته"<sup>(4)</sup>.

### أهمية التدبر:

التدبر من غايات إنزال القرآن كما في قوله تعالى: ﴿كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة ص: 29)، وهذا دليل على أهميته باعتباره عبادة من أفضل القربات، يحصل القارئ من خلالها على بركة القرآن الكريم وهداياته.

والتدبر وسيلة في الوقت ذاته، فهو يعمل مع التذكر على استحضار المعاني في الوعي، ليتهياً القارئ للانتفاع العملي بما وعاه قلبه من هدي القرآن الكريم، وهو الغاية نزول القرآن الكريم، كما قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يبينُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة آل عمران: 103). إن الوصول إلى المعاني الظاهرة من القرآن أمر ميسور للقارئ، وهي المعاني التي يريد الله للناس أن يصل إليهم بلاغها، فقد جاء القرآن لينتفع منه جميع الناس، والنص القرآني حجة في إيصال الحقائق والتشريعات إلى الناس، فلا مجال للتعقيد اللفظي والمعنوي، في الآيات كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة النور: 34). إلا أن التدبر يكشف المزيد من

(1) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، 121/1 والتعريفات للجرجاني، 17/1.

(2) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، 543/1.

(3) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل لعبد الرحمن حسن حينكة، 10.

(4) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح، ص21.

المعاني الكامنة بقدر ما يملك القارئ من شغف للفهم ومهارات موصلة له، ومن ثم تتسع آفاق الرؤية لدلالات القرآن الكريم وينعكس ذلك على ممارسات الإنسان ومواجهته لمواقف الحياة المختلفة. يقول ابن القيم (ت 751هـ) في نونيته<sup>(1)</sup>:

فتدبر القرآن إن رمت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن

بعض القراء يستهويه أن يختم القرآن في أقل مدة، فيعجل في القراءة بدرجة لا تساعد على التدبر، وهو أمر مكروه كما ورد في (البرهان)<sup>(2)</sup>، وعليه محل حديث عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يَفْقَهُ من قرأ القرآن في أقل من ثلاث"<sup>(3)</sup>. والتدبر سبيل من سبل إظهار ربانية مصدر القرآن الكريم، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (سورة النساء: 82)، والقراءة بلا تدبر انغلاق للقلوب، وحجب لها عن الوصول إلى المعاني الهادية في كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالُهَا﴾ (سورة محمد: 24).

### مهارات التدبر:

في ضوء المفهوم الذي عرضه البحث للتدبر تظهر حاجة القارئ إلى اكتساب المهارات التي تمكنه من القيام بعملية التدبر للوصول إلى المعاني من أوائلها إلى أواخرها، وتزداد حصيلة التدبر بمقدار امتلاك مهاراته، ونتناول تلك المهارات في مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: المهارات القرائية.

المبحث الثاني: المهارات الدلالية.

المبحث الثالث: المهارات التأملية.

هذه المهارات تتعلق بقراءة النص بطرق تمكن الذهن من تأمل المعاني، نستعرض

منها ما يلي:

(1) نونية ابن قيم الجوزية، 49.

(2) البرهان في علوم القرآن للزركشي 455/1 في كراهة قراءة القرآن بلا تدبر.

(3) سنن أبي داود، 56/2.

## 1. الترتيل:

القراءة المتأنية تيسر للذهن فرصة النظر إلى المعاني دون تسرع، وأقل الترتيل- كما قال ابن مفلح (ت 763 هـ) - ترك العجلة في القرآن عن الإبانة، وأكمله أن يرتل القراءة ويتوقف فيها<sup>(1)</sup>، قال الله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (سورة المزمل: 4)، وقال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (سورة الإسراء 106)، ويفسر ابن الجوزي (ت 597 هـ) قول الله تعالى ﴿عَلَى مُكْثٍ﴾ بقوله: "على تودة وترسل ليتدبروا معناه"<sup>(2)</sup>. وكانت قراءة النبي ﷺ على تلك الشاكلة كما تصفها لنا أم سلمة ﷺ في قولها: كان ﷺ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ يَقُولُ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثُمَّ يَقِفُ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، ثُمَّ يَقِفُ، وكان يَقْرُؤُهَا ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>(3)</sup>. وسئل زيد بن ثابت ﷺ: كيف ترى في قراءة القرآن في سبع؟ قال: حَسَنٌ، وَلَأنَّ أَقْرَأَهُ فِي نِصْفِ أَوْ عَشْرِ أَحَبُّ إِلَيَّ وَسَلِّئِي: لِمَ ذَلِكَ؟ قال: فَإِنِّي أَسْأَلُكَ، قال زَيْدٌ: لِكَيْ أُنَدِّبَهُ وَأَقِفَ عَلَيْهِ<sup>(4)</sup>.

## 2. التريديد:

تكرار الآية المراد تدبرها أكثر من مرة يساعد على التدبر. والهدف من التكرار هو التوقف لاستحضار المعاني. ويروي أبو ذر ﷺ أن النبي ﷺ قام بآية حتى أصبح يرددها<sup>(5)</sup>: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة المائدة: 118) وهكذا كان شأن السلف الصالح، فالحسن البصري (ت 110هـ) - رحمه الله - أخذ يردد في ليلة قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُعَذِّبُوا نَعْمَ اللَّهُ لَا تُخْصِمُهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة النحل: 18) حتى أصبح، فقليل له في ذلك، فقال: إن فيها معتبرا ما نرفع طرفا ولا نرده إلا وقع

(1) الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح المقدسي، 297/2.

(2) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، 97/5.

(3) سنن ابن ماجه، 429/1 (1389)، قال في مصباح الزجاجة: إسناده صحيح.

(4) كتاب التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا، 159.

(5) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي، 68.

على نعمة، وما لا نعلمه من نعم الله أكثر<sup>(1)</sup>. ونبه ابن قدامة (ت 620هـ) قارئ القرآن أن ما يقرأه ليس كلام بشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه، ويتدبر كلامه فإن التدبر هو المقصود من القراءة، وإن لم يحصل التدبر إلا بتريده الآية، فليردها<sup>(2)</sup>.

### 3. التنغيم:

عند القراءة الجهرية تختلف معاني الكلمات، تبعاً لاختلاف درجة الصوت عند النطق بالكلمة، فالتنغيم هو الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر بالكلام. فكل تغير في درجة الجهر بالكلام يدل على معنى معين. إن الجهر بصوت مسموع أعون على التدبر من القراءة الصامتة. حيث يقوى التركيز ويكون التوصيل بجهتين بدلاً من جهة واحدة أي الصورة والصوت، وهذا ما دعت إليه السنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَا أَدْنَى اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَدْنَى لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ"<sup>(3)</sup>. وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: "إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ"<sup>(4)</sup>. وقال ابن عباس رضي الله عنه: "أَقْرَأُ قِرَاءَةً تَسْمَعُهَا أذْنُكَ وَيَعْبِهَا قَلْبُكَ"<sup>(5)</sup>. من خلال الجهر بالقراءة يمكن توظيف التنغيم بدرجاته الصوتية للمساعدة في استخراج مختلف الدلالات من النص، فهو يقوم بدور دلالي كبير يساعد في تفسير الجملة تفسيراً صحيحاً، ويعدّ قرينة صوتية كاشفة لدلالات معينة، كما في قول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (سورة الشعراء: 22)، تُقرأ الآية بنغمة صوتية مستوية، مفيدة الاستفهام، وهو مفهوم من سياق الجملة بما يرافقها من تنغيم هو في الأصل صورة من صور التعبير. ونجد لدى الإمام الزركشي (ت 794هـ) في كتابه (البرهان)

(1) صحيح البخاري، 2743/6 (7105)، صحيح مسلم، 545/1 (792)، سنن أبي داود 75/2 (1473).

(2) صحيح مسلم، 1944/4.

(3) سنن البيهقي الكبرى، 168/2 (2759).

(4) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم، حديث رقم 2499.

(5) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، 89/9.

عناية متقدمة بالتنعيم في سياق حديثه عن وجوه المخاطبات القرآنية، ومن ذلك قوله: "من أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم"<sup>(1)</sup>. ويرى في موضع آخر أن القارئ المجيد هو الذي تكون تلاوته على معاني الكلام وشهادة وصف المتكلم، من الوعد بالتشويق والوعيد بالتخويف، والإنذار بالتشديد، وهذا القارئ أحسن الناس صوتاً بالقرآن<sup>(2)</sup>. وفي مثل هذا يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة: 121). فإذا كان التنعيم الباكي مقبولاً مثلاً في آيات الاستغفار والتوبة، فلا بد له من أن يختلف عن تنعيم الآيات التي تحض على القتال، أي يجب أن يوائم التنعيم المعنى ويظهره، ليجعل المقروء مستقراً في ذهن السامع وقلبه. فاللين غير الشدة، والأمر والنهي غير الدعاء والالتماس، والخبر غير الاستفهام، والوعد غير الوعيد. ولا يخفى أن المرء يستطيع أن يتدبر من خلال الاستماع بإنصات للآيات كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة الأعراف 204) وكما أخبر عن الجن في إنصاتهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفْسًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّندِرِينَ﴾ (سورة الأحقاف: 29).

### ثانياً: المهارات الدلالية

نحتاج لفهم أوائل المعاني الظاهرة للنص إلى أن نكتسب مهارات معرفة دلالات المفردات والتراكيب، ونتناول منها:

#### بيان المعنى المعجمي:

أكثر مفردات القرآن واضحة الدلالة؛ إلا أن معرفة الأصل الاشتقاقي للكلمات أو استعمالها الغالب عند العرب، تزيد القارئ عمقاً في معرفة معاني الألفاظ، كما أننا بحاجة إلى العودة إلى المعاجم أو مصنفات مفردات القرآن لكشف غرابة بعض الألفاظ.

(1) البرهان في علوم القرآن للزركشي، 450/1.

(2) البرهان في علوم القرآن للزركشي، 181/2.

وكان لدى الجيل الأول من الصحابة حذر شديد من تفسير أية كلمة دون علم، ومن شواهد ذلك ما ذكره الطبري (ت 310هـ) في (تفسيره) لقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا. فَأَبْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعَنبًا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا. وَحَدَائِقَ غُلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ (سورة عبس: 26-31) أن أبا بكر رضي الله عنه سئل عن هذه الآية، فقال: "أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إن قلت في كتاب الله تعالى ما لا أعلم؟"<sup>(1)</sup>.

تقدم المعاجم اللغوية ما يحتاجه القارئ من بيان لمعاني المفردات الغريبة، وهناك مصنفات خاصة بتوضيح معاني المفردات القرآنية، من أهمها (مفردات ألفاظ القرآن) للراغب الأصفهاني (ت 400هـ)، وهو يتميز بكشفه عن جذر الكلمة الذي تلتقي عنده جميع معانيها، فمثلا مادة "ب ر ر" يقول الراغب: البر: خلاف البحر، وتصور منه التوسع. فاشتق منه "البر" أي: التوسع في فعل الخير. ثم يقول: "والبر" معروف، وتسميته بذلك لكونه أوسع ما يحتاج إليه في الغذاء" وهكذا يجعل من "التوسع" الجذر الذي يجمع بين المعاني، فوصف "البر" ينسب إلى الله تعالى تارة نحو قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (سورة الطور: 28) وإلى العبد تارة، فيقال: بر العبد ربه، أي: توسع في طاعته ثم يقول: وبر الوالدين: التوسع في الإحسان إليهما، وضده: العقوق. إلى أن يقول: ويستعمل "البر" في الصدق لكونه بعض الخير المتوسع فيه، يقال: برّ في قوله، وبرّ في يمينه<sup>(2)</sup>. الكشف عن أصل الكلمة يبين بعض أسرار اختيارها، فكلية (سامدون) في قول الله تعالى ﴿وَأْتُمْ سَامِدُونَ﴾ (سورة النجم: 61) واحدها "السامد" وهو اللاهي الرافع رأسه، من قولهم: سمد البعير في سيره. وقولهم: سمد رأسه وسبد أي استأصل شعره<sup>(3)</sup>. وهذا البيان لأصل الكلمة يكشف لنا عن بعض أسرار اختيارها لتصوير حال المعرضين عن هدي القرآن في غمرة لهوهم واستعلائهم. ينبهنا الراغب إلى صيغة الكلمة الصرفية لمعرفة الدلالة الدقيقة لها، مثل كلمتي (القاسطون)

(1) الجامع لأدب الراوي وأخلاق السامع للخطيب البغدادي، 193/2.

(2) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، 12/1.

(3) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، 241/1.

و(المقسطون). فالقسط هو أن يأخذ قسط غيره وذلك جور، والإقساط أن يعطي قسط غيره وذلك إنصاف كما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ (سورة الجن: 14) وقول الله تعالى ﴿ وَأَقْسَطُوا مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يُجِبِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (سورة الحجرات: 9)؛ ولذلك قيل: قسط الرجل إذا جار وأقسط إذا عدل. ودراسة المفردة القرآنية وتحليلها من خلال المعنى اللغوي المعجمي الاشتقاقي غير كاف في استجلاء معناها؛ بل يتطلب الأمر النظر إلى العلاقة السياقية للمفردة القرآنية، وهو ما نتناوله في المهارة التالية.

### بيان معنى السياق:

يختلف معنى المفردة باختلاف السياق الذي قيلت فيه، وهناك نوعان من السياق: الأول - سياق النصي، وهو النص ذاته بمستوياته اللغوية المعهودة: النحوية والمعجمية والدلالية، وهو سياق داخلي لا يخرج عن حدود العبارة اللغوية بكيونتها النصية، وهذا النوع يتضمن من القرائن النصية (اللفظية والمعنوية) ما يرشد إلى مراد المتكلم من الخطاب. الآخر- السياق الزمني (أسباب النزول) ويتضمن الظروف الزمانية والمكانية التي نزل فيها النص، ولنستعرض أثر السياقين - بإيجاز - على دلالة المفردات:

### أ. سياق النص:

يتضح في سياق النص علاقة الكلمة مع الكلمات الأخرى في النص، وهي التي تحدد معناها<sup>(1)</sup>. نجد في السنة ما يدلنا على مراعاة السياق العام في القرآن الكريم، فكلمة (ظلم) لما قرأها الصحابة ﷺ في قول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (سورة الأنعام: 82)، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ، قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا مَا هُوَ الشِّرْكَ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة لقمان: من الآية 13)<sup>(2)</sup>. وأهمية دلالة السياق - كما ذكرها ابن القيم

(1) علم الدلالة لأحمد مختار عمر، 68.

(2) صحيح البخاري، 531/8 (3429).

- تتضح في أنه "يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة. . وهذه من أكبر القرائن الدالة على مراد المتكلم"<sup>(1)</sup>. ومن الأمثلة الدالة على تأثير السياق في تحديد المعنى المراد، قول الله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ سُجْدَانٌ﴾ (سورة الرحمن: 6)، فكلمة (النجم) تكون بمعنى ما نجم أي طلع من النبات على غير ساق، وهو خلاف الشجر، لأنه المعنى الذي ينسجم مع السياق، فعندما نفسر "النجم" هنا بأنه ما لا ساق له من النباتات يكون الارتباط واضحاً بينه وبين "الشجر".

#### ب. السياق الزمني (أسباب النزول):

إن معرفة الظروف التي نزلت فيها الآيات تساعد على فهم المعنى بوضوح أكبر، ومن الأمثلة على ذلك أن عروة بن الزبير سأل عائشة رضي الله عنها: رأيت قول الله تعالى ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة: 158)، فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة، قالت: بئس ما قلت يا ابن أخي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه، كانت: لا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان من أهل يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ الْآيَةَ. وقد سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما<sup>(2)</sup>﴾.

#### بيان المعنى التمثيلي:

للقرآن الكريم أسلوبه البديع في لغته التصويرية التي تستخدم فيها الكلمات لمنح

(1) بدائع الفوائد لابن القيم، 9/4 - 10 و أصول التفسير لابن تيمية، 93.

(2) صحيح البخاري، 188/4.

المعنى مؤثرات حسية تضاعف من تمكينه في النفس.

والتمثيل هو القالب الذي يبرز المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان، بتشبيه الغائب بالحاضر، والمعقول بالمحسوس. وقياس النظير على النظير، فكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعة وجمالاً، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له، واقتناع العقل به؛ وهو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه. ومن خلال الانتباه إلى المعنى التمثيلي يمكن فهم بعض الآيات التي قد لا يتضح معناها لو أجريناها على ظاهرها ومن أمثلتها، قول الله تعالى: ﴿أَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة البقرة: 266). ومفردات الآية واضحة، لكن معناها العام يتطلب بعض التأمل.

ويروي ابن عباس أن عمر رضي الله عنه سأل من كان في مجلسه من الصحابة: فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾؟ قالوا: الله أعلم، قال: قولوا: نعلم؛ أو لا نعلم، فسكتوا. فرآني وأنا أهمس قال: قل يا بن أخي، ولا تحقر نفسك، فقلت: ضربت مثلاً لعمل، عنى بها العمل. قال: وما عنى بها العمل؟ قلت: شيء ألقى في روعي فقلته. فتركني وأقبل وهو يفسرها. فقال صدقت يا بن أخي عنى بها العمل، ابن آدم أفقر ما يكون إلى جنته إذا كبرت سنه وكثر عياله، وابن آدم أفقر ما يكون إلى عمله يوم القيامة، صدقت يا بن أخي<sup>(1)</sup>.

يعقب ابن حجر (ت 852 هـ)، رحمه الله على هذا الموقف بقوله: "وفي الحديث قوة فهم ابن عباس، وقرب منزلته من عمر وتقديمه له من صغره وتحريض العالم تلميذه على القول بحضرة من هو أسن منه إذا عرف فيه الأهلية لما فيه من تشيطه وبسط نفسه وترغيبه في العلم"<sup>(2)</sup>، من خلال ضرب الأمثال في القرآن يتم تصوير الأحوال الداخلية للإنسان لاسيما عندما يعمد إلى إخفائها بضرور من الخداع، كالمثلين الذين

(1) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، 202/8.

(2) المصدر نفسه، 202/8.

ضربهما الله للمنافقين في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ، صَمُّ بَكُمْ غَمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ، أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ، يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة البقرة: 17-20). ويعلل ابن كثير (ت 774هـ) لضرب مثلين للمنافقين بأنهم قسمان خلص، وهم المضروب لهم المثل الناري، ومنافقون مترددون، وهم أصحاب المثل المائي، وهم أخف حالا من الذين قبلهم<sup>(1)</sup>. المثل الأول ضرب للمنافقين الخالص بما كانوا يظهرُونَ بألسنتهم من الإقرار بالإسلام وهم لغيره مستبطنون كما ذهب ضوء نار هذا المستوقد بانطفاء ناره وخمودها فبقي في ظلمة لا يبصر<sup>(2)</sup>. والمثل الثاني يصف المنافقين المترددين؛ فالصيب مثل ما أظهره المنافقون بألسنتهم من الإقرار والتصديق، والظلمات هي ما هم مستبطنون من الشك والتكذيب ومرض القلوب، وأما الرعد والصواعق فما هم عليه من الوجع من وعيد الله إياهم على لسان رسوله ﷺ، وذلك تأويل قوله جل ثناؤه: (يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت) كما أورده الطبري في تفسيره<sup>(3)</sup>. إن تصريف الأمثال في كتاب الله تعالى يوحى بالكثير من المعاني الشرية التي دعانا القرآن إلى تعقلها والتفكير فيها، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت: 43) وقال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (سورة الحشر: 21) يلاحظ أن القرآن يستخدم لغة تصويرية في التعبير عن المعاني كما يتضح في قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ (سورة البقرة: 187) فكلمات: الخيط الأبيض والخيط الأسود وردت لتصوير المنطقة الزمنية الفاصلة بين الليل والنهار.

(1) تفسير ابن كثير، 57/1.

(2) تفسير الطبري، 145/1.

(3) تفسير الطبري، 156/1.

حدث أن أحد الصحابة وهو عدي بن حاتم فهمها على معناها الظاهر فأخذَ عقلاً أبيضَ وعقلاً أسودَ حتى كان بعضُ الليلِ نَظَرَ فلم يَسْتَيِّنَا فلما أَصْبَحَ قال: يا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلْتُ تَحْتَ وَسَادِي قال: إِنَّ وَسَادَكَ إِذَا لَعْرِيضٌ أَنْ كَانَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ تَحْتَ وَسَادَتِكَ) وفي رواية قال: قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ، ما الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ أَهْمًا الْخَيْطَانِ؟ قال: (إِنَّكَ لَعْرِيضُ الْقَفَا إِنْ أَبْصَرْتَ الْخَيْطَيْنِ ثُمَّ قَالَ: لا بَلْ هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَيَبْيَاضُ النَّهَارِ)<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: المهارات التأملية

إن مهارات التأمل تتعامل مع أوائل المعاني لتستخرج منها أواخرها وكوامنها من خلال استكشاف الارتباط فيما بينها، في المدلول والمناسبة والواقع التأمل، بما يتسم به من تركيز وتأن، يساعد الفكر على تجلية لطائف المعاني، فهو كما يقول ابن القيم: "تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله"<sup>(2)</sup>.

### من تلك المهارات:

1. استنباط الفوائد. 2. استخلاص المناسبة. 3. تنزيل الآيات على الواقع.
- ولنستعرض هذه المهارات بشيء من التفصيل:

### استنباط الفوائد:

الاستنباط ربط كلام له معنى بمدلول الآية، ومادة (ن ب ط) أصلها استخراج شيء<sup>(3)</sup>، قال الطبري (ت: 310هـ): (وكلُّ مستخرج شيئاً كان مستتراً عن العيون أو عن معارف القلوب، فهو له مستنبط، يقال: استنبطت الرُّكِيَّةَ: إذا استخرجت ماءها)<sup>(4)</sup>. والفوائد جمع فائدة وهي في اللغة تعني: الزيادة تحصل للإنسان. و"فائدة"

(1) صحيح البخاري، 1640/4 - 4240.

(2) مدارج السالكين لابن القيم، 451/1.

(3) مقاييس اللغة لابن فارس، 5: 381.

(4) تفسير الطبري، 571/8.

العلم والأدب من هذا<sup>(1)</sup>. ونقصد بالفائدة هنا ما يستخلصه المتدبر من معان وحكم ولطائف تزيد عما يحصل عليها غير المتدبر. وذكر ابن القيم (ت: 715هـ): أربعة شرائط لجودة الاستنباط، هي:

1. أن لا يناقض معنى الآية.
2. وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه.
3. وأن يكون في اللفظ إشعاراً به.
4. وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباطاً وتلازماً، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً<sup>(2)</sup>، وهي ضوابط ضرورية حتى لا يشوب عملية التدبر التفسيرات الباطنية التي ليس لها علاقة بالنص، وتشكل إضافة مقحمة لا مستند لها من النص، وتدخل في إطار التفسير بالرأي المذموم. ولهذا حصر الشاطبي (ت: 791هـ) شروط صحة الاستنباط عندما يكون الباطن هو المراد من الخطاب في وجهين: أحدهما: أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، ويجري على المقاصد العربية.

والآخر: أن يكون له شاهد - نصاً أو ظاهراً - في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض<sup>(3)</sup>.

ومن لطائف استنباط الصحابة جواب ابن عباس رضي الله عنه عن سؤال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للصحابة عن قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (سورة النصر: 1) وأجابوه بقولهم: أمر الله نبيه إذا فتح عليه أن يستغفره، فقال لابن عباس: ما تقول أنت؟ قال: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه إياه، فقال: ما أعلم منها غير ما تعلم<sup>(4)</sup>. يعقب ابن القيم على ذلك بقوله: "وهذا من أدق الفهم وألطفه، ولا يدركه كل أحد،

(1) المصباح المنير للفيومي، 251/1، ولسان العرب لابن منظور، 340/3.

(2) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص 51.

(3) الموافقات للشاطبي، 268/3.

(4) صحيح البخاري، 154/9.

فإنه سبحانه لم يعلق الاستغفار بعمله بل علقه بما يحدثه هو سبحانه من نعمة فتحه على رسوله ﷺ ودخول الناس في دينه، وهذا ليس بسبب للاستغفار، فعلم أن سبب الاستغفار غيره، وهو حضور الأجل<sup>(1)</sup>.

ومن لطائف الرازي (ت 606هـ) في تفسيره الكبير، ما استنبطه من الفارق بين الخشية والخوف في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (سورة الرعد: 21). وهي أن الله تعالى في كثير من المواضع ذكر لفظ الخشية حيث كان الخوف من عظمة المخشي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (سورة فاطر: 28). وقال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدَّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (سورة الحشر: 21)، فإن الجبل ليس فيه ضعف يكون الخوف من ضعفه وإنما الله عظيم يخشاه كل قوى<sup>(2)</sup>. يبني الرازي هذا الاستنباط على أصل لغوي فيقول في تفسيره: الخشية والخوف معناهما واحد عند أهل اللغة، لكن بينهما فرق وهو أن الخشية من عظمة المخشي؛ وذلك لأن تركيب حرف (خ ش ي) في تقاليبها يلزمه معنى الهيبة، يقال شيخ للسيد والرجل الكبير السن، وهم جميعاً مهيباً، والخوف خشية من ضعف الخاشي، وذلك لأن تركيب (خ وف) في تقاليبها يدل على الضعف.. والمخفي فيه ضعف كالخائف<sup>(3)</sup>.

ومن الأمثلة أيضاً استنباط الشافعي<sup>(4)</sup> (ت: 204هـ) وقوع الرؤية من قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (سورة المطففين: 15) قال: "فَلَمَّا أَنْ حَجَبُوا هَوْلَاءَ فِي السُّخْطِ، كَانَ فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ يَرُونَهُ فِي الرِّضَا"<sup>(4)</sup>، وهو استنباط بإعمال مفهوم المخالفة. وفي قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ

(1) إعلام الموقعين لابن القيم 353/1.

(2) التفسير الكبير للرازي 153/28.

(3) التفسير الكبير للرازي 153/28.

(4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي، 506/3.

يُعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿﴾ (سورة المائدة: 67)، يمكن أن نستنبط أن بلاغ الرسالة القرآنية ليس قولاً مجرداً بل إن حقيقة البلاغ هو الفعل الذي يراه الناس، في صاحب الرسالة والدعوة ليكون قدوة عملية لهم. أكثر المفسرين ذكروا أن المعنى: إن كتبت آية مما أنزل عليك من ربك، لم تبلغ رسالاتي، مقتضين في ذلك أثر ما ذكره الطبري في تفسيره<sup>(1)</sup>. في قصص القرآن الكريم مجال رحب لاستنباط الفوائد واللطائف، كقصة إبراهيم عليه السلام مع أضيافه من الملائكة، في قول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ. فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ. فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ. فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (سورة الذاريات: 24 - 28)، فالقصة لا تتحصر في المعاني الأولية من أن الملائكة أتوا إبراهيم في صورة الأضياف يأكلون ويشربون، وبشروه بغلام عليم، وأن امرأته عجبت من ذلك فأخبرتها الملائكة: أن الله قال ذلك. يشير ابن القيم إلى جملة وافرة من الفوائد المستنبطة من القصة فيقول: "فاسمع الآن بعض ما في هذه الآيات من أنواع الأسرار، وكم قد تضمنت من الثناء على إبراهيم؟ وكيف جمعت الضيافة وحقوقها؟ وما تضمنت من الرد على أهل الباطل من الفلاسفة والمعتلة. وكيف تضمنت علماً عظيماً من أعلام النبوة؟ وكيف تضمنت جميع صفات الكمال التي ردها إلى العلم والحكمة؟ وكيف أشارت إلى دليل إمكان المعاد بالطف إشارة وأوضحها، ثم أفصحت وقوعه؟ وكيف تضمنت الإخبار عن عدل الرب وانتقامه من الأمم المكذبة، وتضمنت ذكر الإسلام والإيمان والفرق بينهما، وتضمنت بقاء آيات الرب الدالة على توحيده وصدق رسله وعلى اليوم الآخر، وتضمنت أنه لا ينتفع بهذا كله إلا من في قلبه خوف من عذاب الآخرة، وهم المؤمنون بها، وأما من لا يخاف الآخرة ولا يؤمن بها، فلا ينتفع بتلك الآيات؟"<sup>(2)</sup>.

كما يعرض علينا السيوطي (ت 911هـ) جملة من الفوائد في قصة موسى مع

(1) تفسير الطبري، 468/10.

(2) الرسالة التبوكية لابن القيم، 63 - 68.

الخضر عليهما السلام، في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا. فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا. فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي جَدَاةٌ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا. قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْبَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا. قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا. فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا. قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا...﴾ (سورة الكهف 60-66)، ومن استنباطاته: "أنه لا بأس بالاستخدام، واتخاذ الرقيق والخادم في السفر، واستحباب الرحلة في طلب العلم، واستزادة العالم من العلم، واتخاذ الزاد للسفر، وأنه لا ينافي التوكل، ونسبة النسيان ونحوه من الأمور المكروهة إلى الشيطان مجازًا وتأديبًا عن نسبتها إلى الله تعالى، واستحباب الرحلة في طلب العلم، واستزادة العالم من العلم، واتخاذ الزاد للسفر، وأنه لا ينافي التوكل، ونسبة النسيان مجازًا وتأديبًا عن نسبتها إلى الله تعالى. وتواضع المتعلم لمن يتعلم منه، ولو كان دونه في المرتبة. واعتذار العالم إلى من يريد الأخذ عنه في عدم تعليمه ما لا يحتمله طبعه، وتقديم المشيئة في الأمر، واشتراط المتبوع على التابع وأنه يلزم الوفاء بالشرط وأن النسيان غير مأخوذ به. وأن الثلاث اعتبارًا في التكرار ونحوه. وأنه لا بأس بطلب الغريب للطعام والضيافة. وأن صنع الجميل لا يُترك ولو مع اللئام وجواز أخذ الأجرة على الأعمال. وأن المسكين لا يخرج عن مسكنته بكونه له سفينة أو آلة تَكْسِبُ أو شيء لا يكفيه. وأن الغصب حرام. وأنه يجوز إتلاف مال الغير وتعييبه لوقاية باقية، كمال المودع واليتيم. وإذا تعارضت مفسدتان ارتكب الأخف. وأن الولد يُحفظُ بصلاح أبيه. (1)

وعندما نتأمل قصة ذي القرنين التي بدأ عرضها بقول الله تعالى: ﴿وَسَأَلُونكَ عَن ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا. إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا. فَاتَّبَعِ سَبِيلًا...﴾ (سورة الكهف 83 - 85) نجد أنها تتضمن دلالات حضارية للقائد المؤمن عندما يملك القوة والقيادة العالمية، منها نشر قيم العدالة بين الناس واستخدام القوة في التعمير

(1) الإكليل في استنباط التزويل للسيوطي، 171.

والإصلاح، وحماية الضعفاء دون ابتزازهم، وتعليم الناس أسس ومبادئ العمارة، ونشر أصول التقنية في بقاع الأرض كافة ليعم الخير الجميع. فالقصص مجال رحب للاعتبار والتفكير كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة يوسف: 111) وقوله تعالى: ﴿فَأَقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (سورة الأعراف: 176) وفي هذه الآيات تعني "العبرة"، العبور من القصة إلى مغزاها، ومن الأحداث إلى القيم التي تجسدها.

### استخلاص المناسبة:

المناسبة ربط كلام له معنى بنظم القرآن في آياته وسوره، وأصلها في اللغة: "المشكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات، ونحوها إلى معنى رابط بينها"<sup>(1)</sup>. وفي هذه المهارة تتركز نظرة المتأمل في نظم القرآن لاستخلاص المناسبات والروابط بين أجزاء النص.

وتتجلى أهمية المناسبة في أنها "زيادة علم، وحسن فهم، وتدبر لكتاب الله عز وجل. وبه يفهم المقصود من الآيات فهماً صحيحاً لا يمكن حصوله دون النظر في المناسبة"<sup>(2)</sup>.

استكشاف تلك العلاقات والروابط يضيف رصيذا من المعاني، لم تكن لتظهر لو كان تناولنا للنص تجزئياً، كلمة كلمة، أو آية آية؛ فهي تساعدنا على فهم أوسع لدلالات النص القرآني، والتعرف على المراد من الآيات ورفع اللبس عن قصدها، ومرجح قوي من مرجحات بعض المعاني على بعض عند تزاممها، سواء منها ما جاء في آيات الأحكام، أو آيات القصص القرآني، أو آيات الوعظ والتوجيه وغيرها<sup>(3)</sup>.

ومن أهم ضوابط المناسبة استشعار الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم<sup>(4)</sup>، فلا

(1) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي، 288/3.

(2) علم المناسبات بين المانعين والمجيزين لآل هويل، ص 99.

(3) المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم للخطيب و محمد، ص 6.

(4) علم المناسبات بين المانعين والمجيزين لآل هويل، 129-130.

يحسن فهم الآيات باجتزاء النص عن سياقه اللغوي، بل لا بد من استحضار ما قبل النص، وما بعده، إذا أردنا أن نفهم مراد الله تعالى من الخطاب القرآني.

يقول الشاطبي: "إن اعتبار جهة النظم في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر- فالإقتصار على بعضها غير مفيد غاية المقصود"<sup>(1)</sup>. ويؤكد دراز أهمية النظرة الكلية للسورة بقوله: "فلا يتقدم الناظر إلى الصلات الموضوعية بين جزء وجزء منه، وهى تلك الصلات المبتوثة في مثاني الآيات ومطالعها ومقاطعها، إلا بعد أن يحكم النظر في السورة كلها، بإحصاء أجزائها، وضبط مقاصدها، على وجه يكون معاوناً له على السير في تلك التفاصيل عن بيته"<sup>(2)</sup>.

وأهم ما يعين على معرفة المناسبات استكشاف غرض السورة، يقول البقاعي: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقى له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية، في كل سورة"<sup>(3)</sup>. ولذلك كان البقاعي (ت885هـ) يبدأ تفسير كل سورة ببيان مقصودها، كقوله في أول تفسير سورة البقرة "مقصودها إقامة الدليل على أن الكتاب هدى ليتبع في كل ما قال، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب"<sup>(4)</sup>.

وكان الرازي يتلمس وجوه التناسب وفق تحليلات منطقية تكشف عن العلاقة بين أجزاء النص مثل ما فعل في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا

(1) الموافقات للشاطبي، 415/2.

(2) النبأ العظيم لدراز، 160.

(3) نظم الدرر للبقاعي، 11/1.

(4) نظم الدرر للبقاعي، 384/2.

وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا بِعِبَادِهِ لَبَصِيرًا ﴿ (سورة النساء: 58)

فيقول: "الأمانة عبارة عما إذا وجب لغيرك عليك حق فأديت ذلك الحق إليه، فهذا هو الأمانة، والحكم بالحق عبارة عما إذا وجب لإنسان على غيره حق، فأمرت من وجب عليه ذلك الحق بأن يدفعه إلى من له ذلك الحق ولما كان الترتيب الصحيح أن يبدأ الإنسان بنفسه في جلب المنافع ودفع المضار ثم يشتغل بغيره لا جرم أنه تعالى ذكر الأمر بالأمانة أولاً ثم بعده ذكر الأمر بالحكم بالحق، فما أحسن هذا الترتيب لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"<sup>(1)</sup>.

وفي موضع آخر يبين الرازي المناسبة بين خلق الإنسان من علق وبين تعليمه بالقلم - مع أنه لا مناسبة في الظاهر بين الأمرين - لكن تحقيق الأمر- "أن أول أحوال الإنسان كونه علقه، وهي أخس الأشياء، وآخر أمره هو صيرورته عالماً بحقائق الأشياء، وهو أشرف مراتب المخلوقات فكأنه تعالى يقول: انتقلت من أخس المراتب إلى أعلى المراتب فلا بد لك من مدبر مقدر ينقلك من تلك الحالة الخسيسة إلى هذه الحالة الشريفة، ثم فيه تنبيه على أن العلم أشرف الصفات الإنسانية، كأنه تعالى يقول: الإيجاد والإحياء والإقذار والرزق كرم ربوبية، أما الأكرم هو الذي أعطاك العلم لأن العلم هو النهاية في الشرف"<sup>(2)</sup>.

وإذا تأملنا قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهَيِّجُ قُرَاهُ مُمْضَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿ (سورة الزمر: 21)

ثم قوله تعالى في السورة نفسها: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا يَتَشَعَّرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلْبِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿ (سورة الزمر: 23)

فسنلاحظ اقتران إنزال الغيث بتنزيل القرآن وهو يشير إلى علاقة وثيقة بينهما، تؤكد حاجة الإنسان إلى الوحي كحاجته إلى الماء، وهذا المعنى صاغه

(1) التفسير الكبير للرازي، 113/10.

(2) التفسير الكبير للرازي، 17/32.

النبي ﷺ في مثل بديع في قوله: (إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قِيلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءُ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلٌ مِنْ فَقْهِ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعُهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلٌ مِنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)<sup>(1)</sup>.

### تنزيل الآيات على الواقع:

القصد من هذا التنزيل ربط النص القرآني بالواقع، وأصل التنزيل من النزول، وهو الهبوط، وذكر ابن فارس أن معناها: (ترتيب الشيء ووضعه في موضعه)<sup>(2)</sup>. وساقها بعض المفسرين بمعنى تطبيق الآيات على الحوادث والوقائع المعاصرة، وعرفته إحدى الدراسات أنه "مقابلة الأحداث المعاصرة للمفسر بما يشابهها في كتاب الله تعالى سواء أكانت المقابلة تامة أو جزئية أو مخالفة لما عليها الآية"<sup>(3)</sup>.

والذي أراه أن التنزيل هنا يقصد به: النظر فيما يقدمه النص من هداية لتقويم واقعة معينة، أو بناء تصور لحل مشكلة محددة. فهذا النظر يرمي إلى إعمال آيات القرآن الكريم بإطلاقها وبأحكامها على الواقع الذي نعيشه، والمواقف والأحوال اليومية التي تمر بالفرد والمجتمع بحيث يجعل من الآيات منطلقاً لتحسين أوضاع الحياة، وميزاناً لمتغيراتها. وهذا يعني أن معالجة الوقائع بالنص، يحتاج إلى نظر عميق تقع به المواءمة، بين كل واقعة، وبين الحكم الذي يخصها، فتتسأ من ذلك مجموعة من الأحكام المتخيرة توجه الأوضاع الواقعة، بمنع بعضها، وإقرار بعضها الآخر<sup>(4)</sup>.

(1) صحيح مسلم، 843/4 (2282).

(2) مقاييس اللغة لابن فارس، 417/5.

(3) تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين للضامر، 33.

(4) وهذا الأمر يقع التعمق فيه في دراسات أصول الفقه وفق القواعد المعروفة لاسيما ما يتعلق بتحقيق المناط ومعناه كما أشار الشاطبي "أن يثبت الحكم بمدركه الشرعي، لكن يبقى النظر في تعيين محله" انظر:

الموافقات 19/3 وما بعدها.

نمثل بمثال على ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (سورة آل عمران: 159)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (سورة الشورى: 38).

إن تنزيل مثل هذه الآيات على الواقع يقتضي فهم حقيقة الشورى المطلوبة، وتحديد عناصرها وأبعادها، ثم يقتضي فهم واقع المسلمين من حيث وضعهم الاجتماعي، وحظهم من البداوة والتحضر، ومن الأمية والتعلم، ومن التقارب والتفرق في المنازل. وعلى ضوء ذلك كله يقع ضبط الشكل الملائم للعمل بواجب الشورى، ولو فهمت الشورى على غير حقيقتها، أو أهملت بعض عناصر الواقع في وضع المسلمين، لجرى العمل بالشورى على نحو لا يؤدي إلى المصلحة المقصودة منها<sup>(1)</sup>.

كما لا يصح اعتبار الديمقراطية (بنموذجها الغربي) تطبيقاً للشورى بمفهومها القرآني، المختلفة للمواقف الحياتية، ويستطيع المتدبر في الآيات أن يصل إلى الخيار المناسب في التعامل مع معناها. مثال ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَرُونَ وَجَزَاءٌ سِوَى سِوَى مَثَلِهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الشورى: 39-40) الآيات تعرض خيارين:

الأول: الانتصار من الباغي.

والآخر: العفو عنه وإصلاحه.

وبالتأمل نصل إلى الخيار الأفضل للتعامل مع الباغي، وفق الاحتمالات التي ترجح اختياراً على آخر، وهو ما قام به القرطبي في تفسيره (ت 671هـ)، حيث عرض احتمالين: أحدهما: أن يكون الباغي معلناً بالفجور وقحاً في الجمهور مؤذياً للصغير والكبير فيكون الانتقام منه أفضل وفي مثله قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فتجترأ عليهم الفساق.

والآخر: أن تكون الفتنة، أو يقع ذلك ممن يعترف بالزلة، ويسأل المغفرة، فالعفو هاهنا أفضل وفي مثله نزلت: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (سورة البقرة: 237). والموضع المأمور فيه

(1) انظر: في فقه التنزيل فهما وتنزيلاً للنجار، 29/1.

بالعفو، إذا كان الجاني نادماً مقلعاً، وقد جاء عقيب تلك الآية: ﴿وَلَمَنْ أَتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (سورة الشورى: 41) ويقتضي ذلك إباحة الانتصار لا الأمر به، وقد عقبه بقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (سورة الشورى: 43) وهو محمول على الغفران عن غير المصر، فأما المصر على البغي والظلم فالأفضل الانتصار منه بدلالة الآية التي قبلها<sup>(1)</sup>.

خيارات التعامل الأمثل مع مواقف السلوك الإنساني ينبغي أن يراعى فيها الدوافع والملايسات التي يقع فيها الحدث، ولذلك يزودنا القرآن بأكثر من خيار لما هو أقوم لواقع الحال. ومسلك أصحاب العقول هو الاستماع إلى القول والمبادرة بالعمل بأفضل ما جاء فيه كما قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر: 12).

إن تنزيل الآيات على الواقع يعد أهم مهارات التدبر التي تعين على الانتفاع العملي بهدي القرآن، وغياب هذه الانتفاع هو ضرب من اختلاس العلم، كما عبر عنه رسول الله ﷺ، فعن أبي الدرداء قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَشَخَّصَ بَبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: (هَذَا أَوْأَن يُخْتَلَسُ الْعِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ)، فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَيْبِدٍ الْأَنْصَارِيُّ: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ؟ فَوَاللَّهِ لَنَقْرَأَنَّ أَنَّهُ وَلَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا. فَقَالَ: نَكَلْتِكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ، إِنْ كُنْتُ لِأَعْدُكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَذِهِ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟<sup>(2)</sup>. وفي رواية أخرى (أوليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء مما فيهما)<sup>(3)</sup>.

إن الناصح لنفسه العامل على نجاتها - كما يقول ابن القيم - يتدبر هذه الآيات حق تدبرها ويتأملها حق تأملها وينزلها على الواقع: فيرى العجب ولا يظنها اختصت بقوم

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 39/16.

(2) سنن الترمذي، 253/9 (2577) وصححه الألباني.

(3) سنن ابن ماجه، 58/12.

كانوا فبانوا<sup>(1)</sup>.

ويكشف ابن القيم عن ضعف إحساس الأكثرين بارتباط القرآن الكريم بواقع الحياة، فيقول: "أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل، ولم يعقبوا وارثا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك"<sup>(2)</sup>.

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة حيث بين لنا ما أنزل عليه بيانا عمليا، و(كَانَ خُلِقَهُ الْقُرْآنَ)<sup>(3)</sup> كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وكان من هدي النبي ﷺ في تفسير القرآن الكريم كما يذكر صاحب (قواعد التفسير) أن يتأول القرآن فيعمل بأمره<sup>(4)</sup>، ومثاله قول عائشة رضي الله عنها "مَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ إِلَّا يَقُولُ فِيهَا سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي"<sup>(5)</sup>، وفي رواية "يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ"<sup>(6)</sup>. أي يراه معنى قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾ (سورة النصر: 3)، وعملا بمقتضاه. ولذلك قال الشافعي رحمه الله: "كل ما حكم به رسول الله ﷺ، فهو مما فهمه من القرآن"<sup>(7)</sup>.

إن بناء منهج عملي لجوانب الحياة استنادا إلى التدبر الصحيح للقرآن الكريم هو من أعظم ثمرات التدبر، بل هو التدبر ذاته، يقول الحسن البصري: "وما تدبر آياته إلا اتباعه بعلمه، والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن كله، وما أسقط منه حرفا واحدا وقد أسقطه كله، ما ترى له في

(1) مدارج السالكين لابن القيم، 389/2.

(2) مدارج السالكين لابن القيم، 343/1.

(3) مسند أحمد، 148/41.

(4) قواعد التفسير جمعا ودراسة لخالد بن عثمان السبتي، 140/1.

(5) صحيح البخاري، 387/12.

(6) صحيح البخاري، 388/12.

(7) انظر: الإتقان للسيوطي، 467/2.

القرآن من خلق ولا عمل"<sup>(1)</sup>. نريد من خلال التدبر الواعي للقرآن الكريم أن نقوم بصياغة المشروع الإسلامي الشامل لنهضتنا الحصارية، ونجاهد به المشاريع العلمانية، واليسارية التي ترمي إلى فصل شريعة القرآن عن ترشيد الحياة في جوانبها كافة.

### الخاتمة

توصل البحث - بحمد الله - إلى النتائج التالية:

- التدبر عملية فكرية لفهم معاني الآيات من النص القرآني بغية الاستجابة العملية لمقتضياتها في الواقع بقدر الطاقة البشرية.
  - التدبر له أثره في انكشاف المزيد من المعاني، ومن ثم تتسع آفاق الرؤية لدلالات القرآن الكريم وينعكس ذلك على ممارسات الإنسان ومواجهته لمواقف الحياة المختلفة.
  - قارئ القرآن بحاجة إلى تعلم المهارات التي تتعلق بقراءة النص بطرق تمكن الذهن من تأمل المعاني وأوردنا منها الترتيل، والترديد، والتنغيم. كما أنه بحاجة إلى مهارات استيعاب المعاني الظاهرة للنص، سواء في كشف دلالة المفردات والتراكيب في الإطار المعجمي للمفردات، أو في سياق النص اللغوي والزمني، أو بعدها التصويري أو التمثيلي.
  - وكذلك يحتاج القارئ إلى تعلم مهارات التأمل لتجلية لطائف المعاني من خلال استنباط فوائدها، واستخلاص المناسبة، وتزليل الآيات على الواقع، للوصول إلى رؤية لأبعاد النص وتأثيره في واقع الحياة.
  - يوصي البحث بمواصلة الجهود لجعل (التدبر) علماً يُعلّم، مثل غيره من علوم القرآن، فالتدبر يستحق أن يكون علماً مستقلاً، وتوضع له منهجية موضوعية تتضمن الوسائل التي تساعد القارئ على تدبر كتاب الله تعالى بطريقة صحيحة وفعالة.
- أسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى تدبر القرآن الكريم واتباع هديه في جميع مجالات حياتنا العملية والعلمية.

(1) مصنف عبد الرزاق، 364/3.

## المراجع

ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي. تحقيق: الحارثي، مصلح بن جزاء بن فدغوش. 1998م. كتاب التهجد وقيام الليل، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض.

ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد. د. ت. زاد المسير في علم التفسير، بدون رقم الطبعة، المكتب الإسلامي، بدون بلد النشر.

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني الشافعي. د. ت. فتح الباري شرح صحيح البخاري، بدون رقم الطبعة، بدون بيانات الناشر وبلد النشر.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا. تحقيق: هارون، عبدالسلام محمد. 1420هـ، 1999م. مقاييس اللغة، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان.

ابن قدامة المقدسي، أحمد بن محمد. تحقيق: الشاويش، زهير. 2000م. مختصر منهاج القاصدين، بدون رقم الطبعة، المكتب الإسلامي، بيروت.

ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي. تحقيق: سعد، طه عبد الرؤوف. 1973م. إعلام الموقعين عن رب العالمين، بدون رقم الطبعة، دار الجيل، بيروت.

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي. تحقيق: عطا، هشام عبد العزيز والعدوي، عادل عبد الحميد وأحمد، أشرف. 1416هـ - 1996م. بدائع الفوائد، الطبعة الأولى، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.

ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي. د. ت. التبيان في أقسام القرآن، بدون رقم الطبعة، دار الفكر، بيروت.

ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي. 1417هـ. متن القصيدة النونية، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

- ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي  
الدمشقي. تحقيق: الفقي، محمد حامد. 1393هـ - 1973م. مدارج السالكين بين منازل  
إياك نعبد وإياك نستعين، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي  
الدمشقي. د. ت. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، بدون رقم الطبعة، دار  
الكتب العلمية، بيروت.
- ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي  
الدمشقي. تحقيق: غازي، محمد جميل. د. ت. الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه،  
بدون رقم الطبعة، مكتبة المدني، جدة.
- ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني. تحقيق: عبد الباقي، محمد فؤاد. د. ت. سنن  
ابن ماجه، بدون رقم الطبعة، دار الفكر، بيروت.
- ابن مفلح، لأبي عبدالله محمد المقدسي. تحقيق: الأرناؤوط، شعيب. 1417هـ - 1996م. الآداب  
الشرعية والمنح المرعية، بدون رقم الطبعة، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم المصري. د. ت. لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي. تحقيق: عبد الحميد، محمد محيي الدين.  
د. ت. سنن أبي داود. بدون رقم الطبعة، دار الفكر، بيروت.
- آل هويمل، إبراهيم بن سليمان. 1420هـ - 2000م. علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، مجلة  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد 25، محرم. ص 99.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق: البغا، مصطفى ديب. 1407هـ - 1987م. الجامع  
الصحيح المختصر، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، بيروت.
- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر. تحقيق: المهدي، عبدالرزاق غالب.  
1415هـ - 1995م. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بدون رقم الطبعة، دار الكتب  
العلمية، بيروت.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى. تحقيق: عطا، محمد عبدالقادر. 1414هـ - 1994م. سنن البيهقي الكبرى، بدون رقم الطبعة، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. تحقيق: شاكر، أحمد محمد. د. ت. جامع الترمذي، بدون رقم الطبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري. تحقيق: عطا، مصطفى عبدالقادر. 1411هـ - 1990م. المستدرک على الصحيحين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

حبنكة، عبدالرحمن حسن الميداني. 1989م. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، بدون رقم الطبعة، دار القلم، بيروت.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت. تحقيق: الطحان، محمود. 1403هـ. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، بدون رقم الطبعة، مكتبة المعارف، الرياض.

الخطيب، عبدالله عبدالرحمن، ومحمد، مصطفى مسلم. 1426هـ - 2005م. المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد 2، العدد 2، ربيع الثاني 1426هـ، يونيو 2005م، ص 6.

دراز، محمد عبدالله. 1987م. النبأ العظيم، الطبعة الأولى، دار المناهل، بدون بلد النشر.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي. 1421هـ - 2000م. التفسير الكبير، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. تحقيق: داودي، صفوان عدنان. 1418هـ - 1997م. مفردات ألفاظ القرآن، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. تحقيق: مجموعة من المحققين. 2010م. تاج العروس من جواهر القاموس، بدون رقم الطبعة، دار الهداية، بدون بلد النشر.

- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله. تحقيق: إبراهيم، محمد أبو الفضل. 1975م. البرهان في علوم القرآن، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، مصر.
- السبت، خالد بن عثمان. 1421هـ. قواعد التفسير جمعاً ودراسة، الطبعة الأولى، دار ابن عفا، مصر.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. د. ت. الإتقان في علوم القرآن، بدون رقم الطبعة، بدون بيانات الناشر وبلد النشر.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. تحقيق: الكاتب، سيف الدين عبدالقادر. 1985م. الإكليل في استنباط التثزيل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي. تحقيق: دراز، عبد الله. د. ت. الموافقات في أصول الفقه، بدون رقم الطبعة، دار المعرفة، بيروت.
- الصالح، صبحي. د. ت. مباحث في علوم القرآن، الطبعة السادسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت.
- الضامر، عبدالعزيز بن عبد الرحمن. 1428هـ - 2007م. تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين دراسة وتطبيق، الطبعة الأولى، سلسلة الدراسات القرآنية، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.
- عبد الرزاق، أبو بكر بن همام الصنعاني. تحقيق: الأعظمي، حبيب الرحمن. 1403هـ. المصنف، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت.
- العسكري، أبو هلال. د. ت. الفروق اللغوية، بدون رقم الطبعة، بدون بيانات الناشر وبلد النشر.
- عمر، أحمد مختار. 1982م. علم الدلالة، بدون رقم الطبعة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، مصر.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. د. ت. تحقيق: محمد، يوسف الشيخ. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بدون رقم الطبعة، المكتبة العصرية، بيروت.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. د. ت. الجامع لأحكام القرآن، بدون رقم الطبعة، دار الشعب، القاهرة.

الكرابيسي، أسعد بن محمد بن الحسين النيسابوري. تحقيق: طوموم، محمد. 1402هـ. الفروق، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري. د. ت. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، بدون رقم الطبعة، بدون بيانات الناشر وبلد النشر.

مالك بن أنس، أبو عبد الله الأصبحي. تحقيق: عبد الباقي، محمد فؤاد. د. ت. الموطأ، بدون رقم الطبعة، دار إحياء التراث العربي، مصر.

مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري. تحقيق: عبد الباقي، محمد فؤاد. د. ت. الجامع الصحيح، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

النجار، عبد المجيد. 1410هـ. في فقه التنزيل فهما وتنزيلا، كتاب الأمة، العدد 23.

---

---

## The Holy Quran Interpretation Skills

Adel Rashad Ghonim

Department of Islamic Studies, College of Education, King Faisal University  
Al-Hassa, Saudia Arabia

### ABSTRACT

Being affected by the Holy Quran and its guidance, as a base for a fruitful personal positive change, requires a deep understanding of its verses. It also requires symantic knowing of such verses. Accordingly, the Holy Quran repeatedly invited humans to deeply explore its verses, as this would enable the person to discover more meanings. This wider understanding is controlled by one's will to understand and the width of individual's vision to these meanings. Deep understanding also assist in associating the Quran's text and real life that needs to be straighten out by the Quran guidance.

This study examined the main skills needed to achieve Holy Quran deep thinking within the areas of reciting, symantic, and deep thinking. The reciting field discussed reciting skills, repeating, and toning. In the field of symantic, the skills of assigning word meaning utilizing dictionaries, examples, and its location in the sentence were examined. Deep thinking field presented skills needed for drawing beneficial conclusions, determining the suitability of a specific word to the meaning of the verse, and assigning verses to current events.

The study presented some samples that explained such skills.

**Key Words:** Deep thinking, Reciting skills, Symantic